# الشعر والمراحل العمرية للأطفال

**أحمد سويلم**

**شاعر وكاتب الأطفال**

الشعر فن يصحب الإنسان من المهد إلى اللحد، فهو عند الطفل المولود هدهدة ومناغاة، وهو في مراحل العمر يتراوح بين الأنشودة والحكاية الشعرية والمسرحية الشعرية، وهو عند الموت عديد ونواح ورثاء.

ونحاول بإيجاز رصد هذه المراحل من خلال التجربة الشخصية عبر عشرات الأعمال الشعرية المقدمة لمراحل الطفولة المتتابعة.

وفي البدء دعونا نتفق علي بعض الحقائق التي لا تحتاج إلى جدال.

في مقدمتها أن للطفل حاجاته المختلفة التي تتنوع وتتشكل في مراحل عمره المتتالية، والحاجة هنا هي أكثر المفاهيم غموضًا والتباسًا. فقد ترد أحيانًا مختلطة مع الخدمة أو المنفعة أو الرغبة، لكتها في مجال الطفولة تأخذ شكل الضرورة؛ لأنها تسهم في إشباع وتنمية شخصية الطفل، وتتخذ مجالات مختلفة، منها:

- حاجات تربوية أسرية تتعلق بالتنشئة الاجتماعية.
- حاجات تتعلق بتنمية شخصية الطفل سيكلوجيًا.
- حاجات تخص علاقات الطفل ورعايته اجتماعيًا.
- حاجات تتعلق بتثقيف الطفل، ودعم مواهبه وطاقته الإبداعية.

- حاجات متنوعة أخري.

وما يعنينا هنا هي الحاجات الثقافية والإبداعية، حيث يتصدر فن الشعر هذه الحاجات التي ينبغي أن تشبع عند الأطفال، والشاعر هنا مطالب بفهم سيكلوجية الطفل في المرحلة التي يكتب لها، وأن يقدم له الشعر الذي يلائم ذوقه وعقليته، وأن تكون لغته سليمة، وإيقاعاته بسيطة.

**وهنا يحسن أن نشير إلى بعض الملامح لشعر الأطفال بصفة عامة:**

- استخدام مفردات اللغة المناسبة لمرحلة العمر والمستوى الإدراكي للطفل.
- تجانس اللفظ مع المعني، بعيدًا عن الحشو والغموض، ونحن هنا نقدر معجم الطفل اللغوي والعُرفي.
- اختيار الإيقاع الموسيقي الظاهر الذي يصلح للغناء، خاصة في المرحلة الأولي.
- تقديم الأفكار والقيم التي تمد الطفل بالتجارب والخبرات، وتجعله أكثر إحساسًا بالحياة.
- أن يتسم الشعر بالخيال الملائم لإدراك الطفل.
- أن تكون اللغة (فصحى أو عامية) شاعرية بسيطة.

**وأرى أن الشعر يمكن تقديمه في قوالب متعددة، منها:**

- القصيدة أو المقطوعة القصيرة، سواء كتبت بالشكل العمودي أو بالشكل الحديث.

- القصة الشعرية القصيرة التي تحكي مواقف ممتعة وشائقة.
- المسرحية الشعرية المركبة، وقد تكون قصيرة أو طويلة.

وعلي ضوء هذه الحقائق المهمة يمكن وضع خريطة شعرية لمراحل الطفولة كما يأتي:

**(١) مرحلة ما قبل المدرسة**

وهذه المرحلة هي بداية تعرف الطفل على عالمه الصغير من خلال اللعب والغناء معًا، ولهذا فنحن هنا أَمام صعوبة وتحد إذ كيف نكتب لطفل لا يعرف الكتابة ولا القراءة، وإدراكه للأشياء لم يكتمل وقد يقترب من العدم؟ ومن ثم فإن حساسية الشاعر في التعامل مع هذه العقلية تجيء في مقدمة التحديات.

والشاعر هنا مطالب أن يضع نفسه مكان هذا الطفل، ويتعامل مع اللغة بأبسط مفرداتها، ويتعامل مع عالم الطفل بكل الصدق والحساسية، ويتعامل مع الخيال بأبسط صوره وبكل تجرد، ويتعامل مع الإيقاع الشعري بكل بساطة.

فاللغة– كَما نعرف– متعددة المستويات من البساطة إلى التعقيد، ومن يملك لغته امتلاكًا حقيقيًا.. يستطيع بلا صعوبة اختيار المستوى اللغوي المناسب لأي مرحلة عقلية.

وإليكم بعض الأمثلة لهذا الشعر:

لي وزة وبطة
وأرنب وقطة
هم أصدقائي كلهم

وعند أختي مثلهم
هم يملئوني فرحًا
ومتعة..... ومرحًا
****
أرجوحتي صغيرة
أنا بها أميرة
ألعب فيها مرة
وأصدقائي مرة
كأننا الطيور
في عالم مسحور
****
طيارتي من ورق
ملون.. مزوق
أرسلها بالخيط
إلى الفضاء المطلق
فهل رأيتم طائرًا
محلقًا في الأفق
كما نشاء يقترب
كما نشاء يرتقي
****
عليك أن تختار

صديقك المختار
يحب ان يلقاك
في الليل والنهار
بالود والحنان
ويحفظ الأسرار

**(٢) المرحلة القرائية:**

ونقصد بها المرحلة التي يبدأ فيها الطفل بالتعرف علي الأشياء والعالم من خلال القراءة والصور، وهنا ينتقل الشاعر مع الطفل إلى عالم القراءة، فيقدم له قيمًا إيجابية، ويرتفع بالمستوى اللغوي والخيال؛ ليلائم هذه المرحلة.

**وهذا مثل لشعر هذه المرحلة:**

أحب أن أكون
مهندسًا طيار
أصعد بالطيارة
بالعلم والأزرار
ولا أخاف شيئًا
في رحلة الأخطار
أحب أن أكون
أزور كل الدنيا
وأعرف الشعوب
لُغاتها... عاداتها
والمدهش العحيب

وقدرة الله هنا
في كونه الرحيب
أحب أن أكون

**(٣) مرحلة الاستمتاع بالقراءة**

وتبدأ من (١٢) عامًا حيث يقرأ الطفل من أجل المتعة بعد أن قضى مرحلة القراءة من أجل المعرفة الأولية، وهنا يقدم الشاعر الحكاية الشعرية والمسرحية الشعرية، بل يمكنه أن يقدم ويصوغ أو يعيد صياغة أحداث التاريخ والانتصارات شعرًا. إن هذه المرحلة هي مرحلة الاستيعاب وشحذ العقل والوجدان معًا، ومثال ذلك:

**قصة (البادي أظلم):**

أقام الثعلب حفل غداء للبجعة
وقدم مشروبًا يسبح فوق رخام أملس
لم تستطع البجعة أن تشرب بالمنقار
لكن الثعلب كان سعيدًا يلعق ما شاء من المشروب..
ومرت أيام...
رأت البجعة أن تدعو الثعلب لغداء خاص
ووضعت إبريقًا مملوءًا بشراب دافئ
لم يستطع الثعلب أن يشرب منه
لكن البجعة راحت تدخل فيه المنقار

وتشرب حتي آخر قطرة

قالت للثعلب: أنت بدأت الحيلة قبلي

والحيلة بالحيلة

والبادي أظلم..

**(٤) مرحلة اليفاعة:**

وتبدأ من (١٥) عامًا حيث تمثل نقلة واسعة في حياة الطفل يحتاج فيها إلى التعرف علي العالم بشكل حقيقي، والشاعر هنا لا يتحسس لغته ولا موضوعاته ولا خياله بنفس القدر في المراحل السابقة؛ لأنه أمام عقل نضج، عقل يرفض ويقبل، وينتقد ويوافق، وهنا فإن الصدق واحترام المتلقي وحسن اختيار الموضوع عوامل مهمة في هذه المرحلة، ومن ثم تشكل هذه المرحلة صعوبة نسبية قد لا تقل عن صعوبة مرحلة ما قبل المدرسة.

**ونسوق هنا مثالًا لشعر هذه المرحلة:**

**نادي:**

إسمي نادي

مولود في حضن الوادي

فتحت عيوني في أرض الأقصى

أحمل في قلبي شجر الليمون

وأغصان الزيتون

وألحان الشادي

أحلم بالشمس وبالقمر الساطع

في ليل بلادي

لكني.. ماعاد الأقصى يعرفني

خضرة بلدي صارت

بارودًا ولهيبًا وخرابًا

القمر الساطع صار سرابًا

ألحان الشادي

صارت دمعًا وبكاءً وعذابًا

لكني.. لم أفقد حلمي

فأنا أروي بدمائي أرض بلادي

حتي يزدهر الليمون

وتطربني ألحان الشادي

إسمي نادي

استشهد جدي.. وأخي ورفاقي

أحمل دمهم في عنقي

ما زالت ذكراهم تتهادى في أوراقي

أقسم إني سأعود إلى القدس الحرة

أكسر أطواقي

أقسم إني سوف أعود بكل الأشواق

أسقط من داسوا حرمات الأقصى

وأعيد براقي..

أصعد فوق جبال الحرية

أزرع رايات الحب

على قدم وعلى ساق

إسمي نادي

سأحرر بدمي أرض بلادي

سأحرر بدمي أرض بلادي..

تلك بإيجاز رؤية خاصة للشعر في مراحل الطفولة المختلفة، رأينا أن نقدمها من واقع التحربة والممارسة والخبرة، وإنها لمتعة حقيقية نشعر بها ونحن نكتب شعرًا لأطفالنا، ونتحدى قدراتنا وطاقاتنا نحن الشعراء؛ لكي نفلح في جذب وإمتاع هذا الكيان الجميل طفل اليوم ورجل الغد.